

مجلة مجمع اللغة العربية
(تصدر مرتين فى السنة)

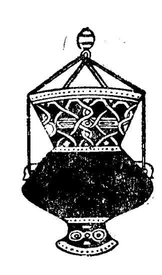
الجزء السابع والثلاثون
جمادى الأولى ١٣٩٦هـ - مايو ١٩٧٦م

المشرف على المجلة :
د. إبراهيم أنيس

رئيس التحرير :
إبراهيم الترزى

الفهرس

بحوث ومقالات :



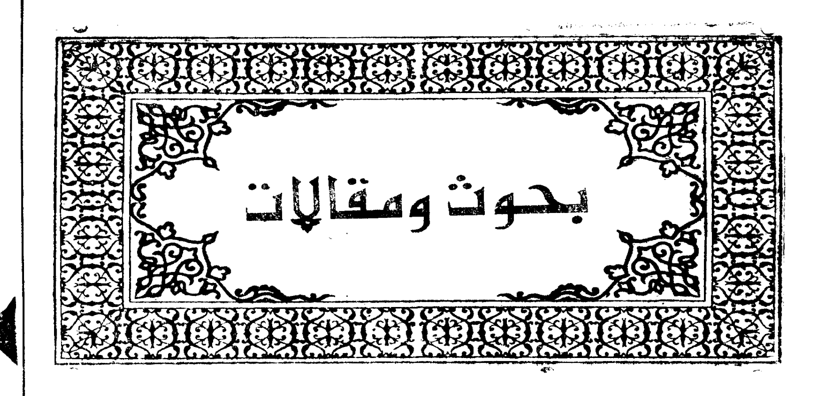
تعريف ونقد :

شخصيات مجمعية :

استقبال :

تأبين :

من أنباء المجمع :


بحوث ومقالات

الثقافة العربية اليوم وغداً

– ٣ –

العلم والفلسفة

للدكتور ابراهيم مدكور

نختتم هذه السلسلة بإلقاء نظرة على موقف الثقافة العربية من العلم والفلسفة ، وموقفها منهما اليوم لا يختلف عنه بالأمس إبان ازدهار الحضارة الإسلامية ، فقد اتسع صدر هذه الحضارة لعلوم الشرق والغرب ، وأخذت منها ما أخذت ، وأضافت إليها ما أضافت .

وكان لها شأن فى إثارة البحث العلمى فى الغرب إبان القرون الوسطى والتاريخ الحديث . والثقافة العربية المعاصرة تؤمن بأننا نعيش حقا فى عصر العلم والتكنولوجيا ، وتسلم بأنها تخلفت فى معالجتهما بعض الشىء ، وتحرص اليوم على أن تستحث الخطى وأن تتدارك ما فات .

١ — ولقد قفز العلم والفلسفة فى البلاد العربية قفزة ملحوظة ، وهى بلاشك وليدة تحرر وانفتاح ، ووعى ويقظة . تحرر مهدت له دعوة النهوض والإصلاح التى نادى بها أمثال جمال الدين الأفغانى (١٨٩٧) ومحمد عبده (١٩٠٥) ، وهى دعوة تعتد بالإنسان ، وتفسح المجال لعقله وتفكيره . وانفتاح على الغرب وعلى ماحقق فى ميادين البحث والكشف والاختراع ورغبة صادقة فى محاكاته والسير على نهجه ووعى يدرك مدى التخلف الطويل ، وينشد نهوضا وتجديدا يسابق بهما الزمن : وقد أدرك العالم العربى ماللعلم من شأن فى هذا كله ، فاتجه فى القرن العشرين نحو نشر التعليم ماوسعه ، وعد ذلك من أهم أهدافه . فرصد له فى ميزانيته مبالغ زادت عاما بعد عام ، واستعان بالعلماء والخبراء العرب أو الأجانب كلما دعت إلى ذلك حاجة ، وأوفد البعوث إلى الخارج استكمالا للدرس والبحث : ولنلق نظرة على نمو التعليم الجامعى ، وإنه لنمو سريع ومطرد . فقد عرفت مصر الحياة الجامعية فى بدء القرن العشرين ، وأسست عام ١٩٠٨ جامعتها الأهلية التى كانت تسمى « الجامعة المصرية القديمة » ، وفى أقل من عشرين سنة تحولت إلى جامعة حكومية هى ما يسمى الآن «جامعة القاهرة » ، وتلتها فى نحو خمسين سنة سبع جامعات جديدة ، وهناك أخرى

فى طريق الإعداد والتكوين، حيث يكون لكل محافظة جامعتها الخاصة . ومنذ عشر سنوات لم يكن فى العراق إلا جامعة واحدة وتوفر لديها الآن أربع ، وعلى هذا النحو سارت سوريا ، وانتقلت من جامعة واحدة إلى ثلاث . وفى لبنان على صغرها أربع جامعات ، إذا تركنا جانبا بعض المعاهد الأجنبية ، وجامعاتها قسمان : اثنتان عربيتان واثنتان من أصل أجنبى . وفى نحو عشر سنوات توفر للجزائر ثلاث جامعات وللسعودية والكويت جامعاتهما فى المشرق ، ولتونس والمغرب جامعاتهما فى المغرب . وربما اجتمع فى المدينة الواحدة عدة جامعات ، كما هو الشأن فى القاهرة وبيروت . وبالجملة فى العالم العربى الآن مايزيد على ٤٠ جامعة على رأسها اتحاد ينسق بينها ، ويربط بعضها ببعض، وفى هذا مافيه من تعاون واتصال ، ولاشك فى أن فى هذا النمو مايبعث على الأمل وينشر ألوية النور والعرفان . وقد أسهم الأستاذ والكتاب المصرى فى ذلك، وعليهما وحدهما عولت بعض الجامعات العربية الناشئة .

٢ — ومن بين هذه الجامعات مااستوعب أبواب البحث كلها ، فاشتمل على كليات للدراسات الإنسانية ، وأخرى للعلوم الرياضية والطبيعية ، وفى كل كلية أقسام وفروع متعددة . ولم تفقد الدراسات الإنسانية منزلتها وبها بدأ معظم هذه الجامعات ، ولايزال بعضها مقصورا عليها . والعلوم الإسلامية من تفسير وحديث ، وفقه وأصول ، جزء منها ، وفى كثير من الجامعات العربية كليات وأقسام متخصصة فيها . وقد اضطلع بها أساتذة أعلام طوروا وجددوا ، كشفوا عما فيها من عمق وأصالة ، وبرهنوا على أن فيها مايلائم العصر ويسد حاجاته . كتبوا وألفوا ولهم إنتاج لايقل عن إنتاج الشيوخ السابقين . وفى التاريخ عنى الأساتذة العرب بالحضارة الإسلامية عناية خاصة ، فوضحوا كثيرا من جوانبها ، ومحصوا بعض مارميت به أو أخذ عليها ، وجاءوا بإضافات لها وزنها . واضطلع مؤرخون آخرون بحفريات حول الحضارات القديمة من فرعونية ورومانية ، أو بابلية وأشورية ، وأسفرت أبحاثهم عن نتائج هامة . والفكر الإسلامى فى نصف القرن الأخير مدين للباحثين والجامعيين العرب ، قاموا بجمع تراثه ، وحققوا منه ماحققوا ، ونشروا مانشروا . وحاولوا أن يترجموا منه قدراً إلى لغات أخرى ، وكم نود باسم التبادل الثقافى أن تنشط هذه الترجمة وأن يتسع مداها . وحاول مؤرخو الفكر والفلسفة أن يعرفوا بمدارس إسلامية غفل الناس عنها ، وأن يترجموا لرجال بقوا مستورين فى غياهب التاريخ . ولايفوتنا أن نشير إلى أن من بين علماء الاجتماع العرب من قام بدراسات حقلية هامة ، ومن بين علماء النفس من اضطلع بدراسات وتجارب مقنعة .

٣ — ويحس العالم العربى إحساسا صادقا بأنه يعيش فى عصر العلم والتكنولوجيا ، فى عصر الملاحظة والتجربة ، فأعد لذلك عدته

من معامل ومراصد ، من محطات تجارب ومراكز بحوث ، من معاهد ومؤسسات ورغبة فى تشجيع العلم والسهر عليه ، خصصت وزارات للبحث العلمى ، لها أجهزتها ووسائلها ، لها توجيهاتها وإشرافها واستكمل بعض الجامعات العربية فروع الدراســات الطبيعية والرياضية على اختلافها ، من طب وفسيولوجيا ، وكيمياء وصيدلة ، ، ونبات وحيوان ، وجيولوجيا وبترول ، وطبيعة ورياضة ، وهندسة وميكانيكا ،وكهرباء وإيلكترونيات .وفى كل فرع من هذه الفروع أساتذة متخصصون لهم تجاربهم وأبحاثهم بالعربية أو الإنجليزية ، ومنها مانشر فى بعض المجلات العلمية ، أو ما كان محل تنويه وتعليق فى المؤتمرات الدولية . وكان طبيعيا أن يبرزوا فى بعض الميادين الخاصة بهم كالنباتات الصحراوية والطبية ، أو فى بعض أمراض البيئة وأعراضها ، وبينهم أعلام يعدون فى مصاف الأطباء والعلماء العالميين ، ولكل مادة من هذه المواد جمعياتها وهيئاتها التى تشجع عليها ، وتتابع نشاطها، وتنظم لقاءاتها ومؤتمراتها، وتنشر أبحاثها ، وتخرج صحيفة باسمها . وفى مصر وحدها مايزيد على أربعين جمعية علمية ، وعلى رأسها الاتحاد العلمى المصرى الذى يربطها بالاتحادات العلمية فى العالم العربى . وفى هذه الجمعيات وتلك الاتحادات تبادل وتعاون ، وربط وتنسيق.

٤ — ولم يبق إلا أن نقول كلمة عن الثقافة الجماهيرية ،وهى ظاهرة هامة من ظواهر المجتمع المعاصر فى البلا النامية والمتقدمة على السواء ، ولاشك فى أن البلاد النامية إليها أحوج . إنها ثقافة شعبية تخاطب الجميع وتنزل عند مستواهم السائد ، ويراد بها أن تكمل نقصا ، أو أن تضيف جديدا فى عالم نفاجأ فيه كل يوم بالجديد . وكانت الثقافة بالأمس وقفا على الخاصة، ينعمون بها وحدهم ، ويعلنون باسمها تفوقهم ولاتقر الديمقراطية ولا الاشتراكية هذه التفرقة الظالمة ، ولاهذا التمييز الذى لاأساس له. والحق أن الثقافة ملك للجميع وقدر منها ضرورى للحياة ، ويزيد هذا القدر كلما تنوعت وسائل الحياة وتعقدت . وعلى الدولة أن تيسر أمر هذه الثقافة وأن تسهر عليها.

وقد أدرك العالم العربى مالها من شأن حياتنا الحاضرة ، فوقف عليها وزارات خاصة، وليست مهمتها بأقل من مهمة وزارة التربية والتعليم ، ترعى الــكهول والشيوخ فى حين ترعى الأخرى الأطفال والشبان . لها مراكزها ومعاهدها ، وفى هذه المراكز تكافح الأمية، وتيسر القراءة، وتقدم المعلومات النافعة، ولابأس من قدر من وسائل الترفيه والتسلية . ويدخل فى اختصاص هذه الوزارات مراقبة المسرح والسينما ، وتتبعها وسائل الإعلام من إذاعة وصحافة . فتعددت وسائلها ، وتنوعت سبلها .وقديما كان المسجد الوسيلة الوحيدة لتقديم شىء من الثقافة الشعبية والدينية ، وفى الإمكان أن يضم إلى الوسائل السابقة.

والمهم أن توضع خطة واضحة للثقافة الجماهيرية ، فتحدد أهدافها ، وتتخير وسائلها ، وتطرد فيها الخطى فى دقة وانتظام . ومن الخطأ أن تطغى عليها اعتبارات شخصية أو دعايات سياسية ، فينصرف الجمهور عنها ، ولاتؤدى وظيفتها على الوجه الأكمل .

خاتمة :

هذه هى الثقافة العربية اليوم ، وفى حاضرها مايسمح بالحكم على شيء من مستقبلها ، ويؤيدنا فى ذلك ماحدث من تطور فى بلاد أخرى مرت بظروف شبيهة بظروفها . ونعتقد أنه فى أخريات هذا القرن ستنمحى الأمية فى كثير من البلاد العربية ، وستسير الفتاة عامة إلى جانب الفتى فى طلب العلم والحرص عليه . والإقبال على التعليم فى تزايد مستمر ، ويفوق عدد طلابه سنويا كل تقدير . والمدارس الثانوية والمتوسطة سخية كل السخاء فى عطائها ، وخريجوها فى ازدياد مطرد . ولاسبيل ، بل لامصلحة فى أن يستوعبهم جميعا التعليم العالى والجامعى . وأولى بقدر كبير منهم أن يواجه طلبات المجتمع المختلفة ، وأن ينهض بالاقتصاد القومى فى شتى نواحيه من زراعة وصناعة وتجارة . وفى اختصار : نتوقع فى نهاية هذا القرن أن يرتفع المستوى الثقافى العام للفرد فى العالم العربى . وبدأنا نلحظ بالفعل أن الأجيال الصاعدة أكمل ثقافة وأتم معرفة من الأجيال التى سبقتها ، وليس شيء أعون على النهوض والتقدم من انتشار العلم والمعرفة .

ولم يبق اليوم شك فى أن العربية هى اللغة القومية ، يستمسك بها العالم العربى جميعه ، يجد فى طلبها وتعلمها ، ويتدارك مافاته منها ، وللجزائر فى ذلك تجربة جادة فهى الآن فى معركة التعريب بعد أن فرغت من معركة التحرير ، وسيكون لتجربتها صدى شرقا وغربا . ومنذ أوائل القرن العشرين تبذل جهود متلاحقة لتبسيط العربية وتيسيرها ، فتهذب ألفاظها ، وتختصر قواعدها ، ويبسط إملاؤها ، وتيسر كتابتها وقد أنجز من ذلك قدر لابأس به . ولن تقف عربية اليوم السهلة الميسرة عند العالم العربى وحده ، بل ينتظر لها امتداد فى آسيا وأفريقيا ، وحياة جديدة فى البلاد الإسلامية خاصة . ونتوقع أن يزداد طلابها من أبناء أوربا وأمريكا ، توثيقا للعلاقات السياسية والاقتصادية . وفى المعاهدات الثقافية المعقودة بين العالم العربى والبلاد الأخرى ما يعزز ذلك ويؤكده . وبدأنا فعلا نلحظ شيئا من هذا فيمن يفدون إلى المعاهد والجامعات العربية من طلاب اللغة والفكر الإسلامى بين شرقيين وغربيين ، ويزداد عددهم باطراد ، وتتأهب البلاد العربية لاستقبالهم . وفى انتشار التعليم فى العالم العربى مايقرب لغة الخطاب من لغة الكتابة ، ويضيق مسافة الخلف بين الفصحى والدارجة ، على نحو ماحدث فى الإنجليزية أو الفرنسية ، ولانزاع

فى أن عامية القاهرة اليوم مثلا أرق وأسمى من عامية الأمس . وفى المسرح والسينما والإذاعة والصحافة ، وتبادل المعلمين والفنيين مايقرب اللهجات العربية بعضها من بعض ، وما قد يؤدى إلى قيام لهجة واحدة مشتركة وسائدة .

وفى ثقافة اليوم تفتح وانطلاق ، فهى سائرة ومتقدمة لاتخشى الجديد ولاتنفر منه ، وماأشبهها فى تفتحها بتلك الثقافة التى قامت عليها النهضة الإسلامية الكبرى . ترعى للدين حقوقه ، ولكن فى غير جمود أوتزمت ، وترى أن ليس فى تعاليمه مايسد الطريق أو يضيق الآفاق ، وأن العلم قد تآخى مع الإيمان قديما ، ولايعز عليه أن يتآخى معه إلى النهاية . فلن تتوقف النهضة العربية فى طريقها ، ولن تبالى بتلك الأصوات الهدامة أو التى تدعو إلى التراجع والجمود . ولانظنها أيضا تستجيب لدعوات التحرر الخالص والإباحية المطلقة ، برغم ماتعتمد عليه هذه الدعوات من وسائل خفية وقوى دولية ، وستبقى الثقافة العربية دائما واقفة عند حدودها ، مؤمنة بقيمها مستمسكة بمعالمها ، مقتنعة بأنه لاتعارض بين الدين والدنيا .

وكشفت ثقافة اليوم عن الإنسان العربى فى حقوقه وواجباته ، فقدرت هذه الحقوق قدرها ، ونادت بالعدالة والمساواة ، ودعت إلى محاربة الجهل والفقر والمرض ، وخطت فى ذلك خطوات فسيحة ، وستستمر فى طريقها دون تردد . وأكد هذا ضرورة أداء الواجبات ، لأن المواطن الحق هو من يعطى بقدر مايأخذ ، ومن يسهم بقسط فى بنيان مجتمعه . فشعر الفرد العربى بوجوده ، واسترد اعتباره ، وتخلص من عقدة الأجنبى الأوربى ، وامتلأ ثقة بنفسه . وبدأ ينتج وهو مؤمن بكفاءته وقدرته على الإتقان والتجديد . واشترك مع غيره فى الإنتاج ، فلم يتخلف عن السير ، وربما برز على بعض أقرانه من من الأوربيين والأمريكيين . وهو طموح إلى أن يكون لثقافته شأن يذكر بين الثقافات العالمية الكبرى ، وإنه لواصل إن شاء الله .

ابراهيم مدكور

رئيس المجمع
